Media, Freedom of Expression Qur'anic Perspective on Falsehood Dissemination, Rumors

◆ **Dr. Ali Sahib Al-Jassani**

Professor at the University of Kufa, College of Jurisprudence, Comparative Interpretation.

■ Abstract

Freedom of expression is a fundamental concept that holds great significance in contemporary intellectual discourse, particularly in the realm of media. This research offers a detailed examination of the concept through a Quranic lens, aiming at establishing its foundations, analyzing its key components, and identifying the obstacles that hinder its proper application. It also distinguishes between genuine expression and harmful practices such as rumor-mongering, falsehood, and slander.

Using an inductive-analytical methodology, it collects and interprets relevant Qur'anic verses within their linguistic and exegetical contexts to construct a coherent framework for understanding freedom of expression in media.

The study of the research arrives at several key conclusions, the most important of which is that the Qur'an affirms freedom of expression as a fundamental human right, yet it regulates this freedom through a set of ethical and legal principles. While Western perspectives often emphasize absolute individual liberty, the Qur'anic approach strikes a balance between individual freedom and social responsibility, aiming at preserve communal stability and peace. Ultimately, the paper argues that the Qur'anic vision of freedom of expression in the media is neither a denial of freedom nor an unrestricted endorsement of it, but rather a comprehensive system that transforms speech into a tool for constructive discourse and societal reform.

Keywords:

Freedom, Freedom of Expression, Media, Rumors, Obstacles to Freedom of Expression, Slander [lfk].

الإعلام وحُرّيَّة التعبير: موقف القرآن من نشر الأكاذيب والإشاعات والافتراءات

◆ د. علي صاحب الجصاني[1]

■ خلاصة

حُرّيَّـة التعبير مفهوم أصيل، يتمتع بأهمية كبيرة على السـاحة الفكرية في مجتمعاتنا في الوقت الحاضر، وبالخصوص فيما يتعلّق بالجانب الإعلامي. وقد عملت هذه الورقة البحثية على دراسته بنحـو تفصيلي وفق الرؤية القرآنية، وإثبات أصله، وتحليل عناصره، والموانع التي تقف أمامه، ثم التفريق بينه وبين الإشاعات والكذب والافتراء، من خلال منهج استقرائي تحليلي يقوم على جمع الآيـات القرآنية المتعلّقة بالموضوع، وتحليلها وفق السـياق اللغوي والتفسـيري، للحصول على هيكلية متكاملة لحُرّيَّة التعبير في الإعلام.

وقد خلصت الدراسـة إلى نتائـج عدّة، أهمّها: أنّ القرآن الكريم أقـرّ حُرّيَّة التعبير باعتباره حقًّا إنسـانيًّا أصيلاً، لكنّه ضبطهـا بجملة من القيود الشرعية والخُلُقية. وتبـيّن أنّ التصوّر الغربي يقوم ظاهرًا على إقرار الحُرّيَّة الفردية المُطلقة، بينما يوازن المنهج القرآني بين حُرّيَّة الفرد ومسؤوليته في اسـتقرار المجتمع وسكينته، وتؤكّد الدراسـة أنّ الرؤية القرآنية لحُرّيَّة التعبير إعلاميًّا ليست إنكارًا للحُرّيَّة، ولا إطلاقًا لها، بل هي منظومة متكاملة تجعل حُرّيَّة الكلمة أداة للبناء، والإصلاح.

الكلمات المفتاحية: حُرّيَّة، حُرّيَّة التعبير، الإعلام، الإشاعات، موانع حُرّيَّة التعبير، الإفك.

١ - أستاذ في جامعة الكوفة / كلية الفقه، تفسير مقارن.

مقدّمة

تتميّز مسألة حُرّيَّة التعبير بكونها مسألة ترتبط بنواحٍ حياتية عدّة، وهذا ما كان السبب في توفّرها على مركز متميّز في المنظومة القِيَمية والخُلُقية والإنسانية، كما تُعَدُّ قضية حُرّيَّة التعبير من أبرز القضايا الفكرية المعاصرة، التي تثير جدلاً واسعًا بين مختلف التيارات الفلسفية والثقافية. فبينما ترفع النظريات الوضعية شعارَ الحُرّيَّة المطلقة، التي لا تقيّدها ضوابط، ولا تحدّها قيود، تبرز الرؤية القرآنية؛ لتُقدّم تصوّرًا متوازنًا، يجمع بين إقرار الحقّ في التعبير عن الرأي، وضرورة انضباط هذا الحقّ بضوابط خُلُقية وقِيَميّة تحفظ كرامة الإنسان، وتحقّق مصلحة المجتمع ضمن إطار وبنية معرفية متكاملة، لا تقدّم الإنسان فوق أيّ اعتبار، كما فعلت الرؤية الغربيّة، بل تراه موجودًا محدودًا بحُرّيات الآخرين، والحدود الإلهية والكونية التي ينبغي الانصياع لها، والاهتمام بها وعدم تجاهلها.

وقد كان للإعلام النصيب الأوفر في الاهتمام بحُرّيَّة الرأي، وجعلها الركيزة الأساس التي يُستند إليها وينادي بها، وهذا الأمر بديهي؛ فليس هناك قيمة للإعلام إذا كان تابعًا، ومسيَّسًا، وخادمًا لأغراض السلطة أو الجهات المتنفذة، فإذا لم يكن للإعلام حدود قِيَمية وخُلُقية، فإنّه سيكون منصّة ونافذة لنشر الإشاعات والتهم والافتراءات، وهذا ما يكون سببًا في تهشّم المجتمع وانحداره وانحطاطه، فللإشاعة قدرة تخريبية أعظم مقارنة بغيرها من الآفات الاجتماعية. فالشكّ بين الأفراد، وفقدان ثقة الشعب بمسؤوليْهِ وأفراده، والركود الاقتصادي، والشعور بعدم الأمن والاستقرار، واليأس والقنوط وفقدان الأمل، وتهيئة الأرضية لتدخّل الأجانب والأعداء، وغير

ذلك... ليست إلا جزءًا من الآثار التي تتركها الإشاعة على جسد المجتمع. فالشائعات عبارة عن داء فتّاك ينخر جسد المجتمع ويفتك به. لذا، كان من الواجب التصدّي لها، وعلاج أسبابها والحيلولة دونها.

وقد انفردت الرؤية القرآنية بمنهجية دقيقة في تشخيص الإشاعات، والكشف عنها ومحاربتها، ففيما أقرّ القرآن الكريم حُرّيَّة التعبير، واعتبرها حقًّا جوهريًّا للإنسان ليس لأحد مصادرته، نجده يعمل على تقنين حُرّيَّة التعبير إعلاميًّا ضمن إطار متكامل، يجمع بين حُرّيَّة الفرد والحُرّيَّة الاجتماعية، وقد بيّن خطورتها وتوعّد من قام بها بالخزي في الدنيا، وأشدّ العذاب يوم القيامة، وبيّن الطرق والآليّات لحيلولة دون وقوعها، وكيفيّة مواجهتها، والسيطرة عليها.

في هذه الدراسة، سنقوم بتحليل مفهوم حُرّيَّة التعبير في ضوء القرآن الكريم، من خلال مقارنته بالمفهوم الغربي، واستنباط الأسس التي تقوم عليها الرؤية القرآنية، والعناصر التي تشكّلها، والضوابط التي تحكمها، واختلاف هذه الحُرّيَّة عن الإشاعات، والأكاذيب، والافتراءات التي يطلقها الإنسان سواء بين الأفراد أم في الإعلام على الملأ.

أولًا: مفهوم حُرّيَّة التعبير

كلمة «الحُرّيَّة» لغةً: منسوبة إلى (الحُرّ)، الحُرّ بالضم: نقيض العبد، والجمع أحرار وحُرّار... وحرّره: أعتقه... والمُحرِّر: الذي جعل من العبد حُرًّا فأعتقه، ويقال: هو من حُرّيَّة قومه؛ أي من خالصهم. والحُرّ من كلّ شيء: أعتقه. وفرس حُرّ: عتيق، والحُرّ: الفعل الحسن... والحُرّة: الكريمة من النساء[1].

وأما اصطلاحًا فهي: القدرة على التصَرُّف بملء الإرادة والاختيار، والخلوص من العبوديّة

١ - محمد بن مكرم، (ابن منظور): لسان العرب، ج٤، ص. ص ١٨١-١٨٢.

أو اللوم أو نحوهما[١]. أو هي: حالة مَنْ ليس مُقيَّدًا أو مُحتجَزًا...، وتعني حَقّ المَرء في العَيْش حُرّا من دون ضَغْط أو إكْراه أَو قَهْر، ومُمارَسة حُرّيَّاته كامِلة، كحُرّيَّة الفِكْر، وحُرّيَّة الرَّأْي، وحُرّيَّة المُعْتَقَد[٢]. فالحُرّيَّة من المفاهيم البديهية شديدة الوضوح ويعرفها الأفراد بالوجدان.

أما لفظ (التعبير) لغةً، قال (ابن فارس): (عبر)، العين والباء والراء أصل صحيح واحد، يدلّ على النفوذ والمضي في الشيء،... ومنه: عَبَرَ الرؤيا: أي فسّرها، والمِعْبَرُ: ما عُبِرَ به النهر من فُلْكٍ وغيره[٣]. وقيل: عبرَ الرُّؤيا يعبرُها عَبرًا، وعِبَارة، وعبرّها: فسرّها، وأخبر بآخر ما يؤول إليه أمرها. واستعبره إيّاها: سأله عَبرها[٤].

والتعبير اصطلاحًا: هو إظهار الأفكار والعواطف، أو الحُرّكات أو قسمات الوجه، ومنه التعبير العامي، وهو يعتمد على اللغة المحكيّة، والتعبير المأثور، وهو الذي يلازم صورة واحدة في الاستعمال دون تغيير[٥].

وحُرّيَّة التعبير عن الرأي، تعد بلا شكّ، من المسائل الجوهرية التي تدخل في نطاق حقوق الإنسان في الإسلام، والمقصود بـحقّ التعبير عن الرأي: «هو أنْ يتمتع الإنسان بكامل حُرّيته في الجهر بالحق، وإسداء النصيحة في أمر الدين أو الدنيا، فيما يحقّق النفع، ويصون مصالح الفرد والمجتمع، فيما يتعلّق بالحاكم أو المحكوم»[٦]. وبهذا التعريف، يمكن إخراج عناصر أخرى كالتعبير عن الرأي بما ينسجم مع الباطل، وإشاعة الكذب، والافتراء، والغشّ، وما شابه. فكل هذه الأمور، وإنْ كانت في ميزان الآخرين حُرّيَّة رأي يمكن أنْ يتحدّثوا بها بينهم أو يدلوا بها في الإعلام أو أي وسيلة أخرى، لكنّها لا تنسجم والمنطلقات الإسلامية الساعية الى إقامة مجتمع سليم.

١ - إيميل يعقوب: المعجم المفصل في الجموع، ص ١٤٠.
٢ - لويس معلوف: المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص٢٦٨.
٣ - أحمد بن فارس بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، ج٤، ص٢٩١.
٤ - حسين يوسف موسى: الإفصاح في فقه اللغة، ص٣٠١.
٥ - محمد تونجي: المعجم المفصل في علوم اللغة، ص١٨٤.
٦ - ينظر: سليمان الحقيل، حقوق الإنسان في الإسلام، ص٥٤.

ثانيًا: مفهوم حُرّيَّة التعبير في الأيديولوجيات الغربية المعاصرة

سنسعى إلى بيان مفهوم حُرّيَّة التعبير في الفكر الغربي، من خلال تحليل أبعاده الوجودية والمعرفية؛ حيث نجد الإنسان في الجانب الوجودي لمفهوم حُرّيَّة الرأي، هو المركز والمرتكز الذي تدور حوله بقيّة الأشياء، بعدما عانى لعقود من الزمن من والإقصاء والإهمال؛ حيث كانت سيطرة الكنيسة على مفاصل المجتمع، والتحكّم المطلق بمجريات الأمور من أبرز الظواهر في تلك الحقبة من الزمن، وما كان ذاك إلا نتيجة الفهم المشوّه والخاطئ لما يتعلّق بالعقيدة. ثم جاء عصر العقلانية الذي رفع راية العقل بعد تراجع الكنيسة المهين أمام الهجمات العلمية والعقلية، لكنّه اقتصر على سطحية العقل الجزئي المنفصل عن الوحي، وغير المرتبط بالوحي الإلهيّ المقدّس، ما أنتج لاهوتًا ميكانيكيًّا، ورؤية كونية قائمة على الحساب والكمّ[1]، إلى درجة أنّهم قالوا: إنّ «الفرق الوحيد الذي يمكن إقامته بين الآلات والأشياء الطبيعية، هو أنّ الآلات تعمل عادةً باستخدام أجهزة كبيرة يمكن إدراكها بسهولة بالحواس، بينما تعتمد العمليات الطبيعية عادةً على أجزاء صغيرة جدًا لا تستطيع حواسنا إدراكها»[2].

ثم جاءت المدرسة الوضعية لتهزأ بكلّ الأفكار السابقة، وتستخدم التجربة الحسية ممحاةً لكل ما هو عقلاني، حتى أصبحت القضايا الميتافيزيقية ليست مجرّد قضايا خاطئة، بل هي قضايا بلا معنى، وغير قابلة للفهم، وجرى التخلّص من كل ما يتعلّق بما وراء الطبيعة؛ باعتباره غير حسّي، وغير قابل للإدراك أو الفهم، ليس بتكذيبه، بل بإهماله وإزالته من المعرفة البشرية.

هذه الحقائق المريرة عانى منها تاريخ الفكر الغربي بشدّة. ومن خلال هذه الاعتقادات غير المتوازنة، ظهرت أكثر الآراء تطرّفًا وتفريطًا عن أحد أكثر المفاهيم تعقيدًا وأهمّيّة للإنسان: الحُرّيَّة. فمرّةً سُجنت الحُرّيَّة باسم الدين في قبضة الأفكار الدوغمائية، حتى أصبح مصطلح «الاستبداد الديني» أكثر رعبًا من أي ديكتاتورية، ومرّةً أُطلقت الحُرّيَّة كسكّير يحمل سيفًا ليريق دماء كل ما

١ - ينظر: مجيد ظهيري: مقدمة للمباني المعرفية في الإسلام والليبرالية (باللغة الفارسية)، ص٧.
٢ - ينظر: انطوني آربلاستر: بزوغ الليبرالية الغربية وأفولها (باللغة الفارسية)، ص ١٩٤.

هو معنوي وخُلُقيّ وفاضل على مذبح الذات والأنانية[١].

أما في العصر الحديث، حيث هيمنت الأفكار الليبرالية، فإنّ هناك إلحادًا معقّدًا يخيّم كسُحب قاتمة على الفكر الغربي في القرون الأخيرة، وهو إنكار الله المشرِّع. أما الله الخالق، فليس لدى الغرب مشكلة في قَبوله، بل يدافع عن هذا المفهوم. والصورة التي يقدّمها الغرب اليوم عن الله -تعالى- هي صورة الخالق الذي لا يملك أيّ دور ربوبي أو تربية لمخلوقاته، والتعاليم الوحيانية لا قيمة لها إلا في الحياة الفردية والتجارب الداخلية الشخصية. ومن الواضح، أنّه كلّما ضاق مجال ربوبية «الحقّ»، اتسعت ساحة الأهواء والنزوات البشرية. لذا، عندما لا يكون الله ربًّا، يصبح الإنسان سيّد نفسه، وبناءً على هذه الفكرة الوهمية والخرافية، يصبح مالكًا ومعيارًا لكلّ شيء، ويدور كل شيء حول إرادته ورغباته، ما يؤيّد مقولة (بروتاغوراس-Protagoras)[٢]: «الإنسان هو مقياس كل شيء».

وبذلك، فإنّه سيفسّر الحُرّيَّة على أنّها «افْعل ما تشاء» وحكِّم رغباتك؛ حيث تُعتبر «الرغبات» وفق هذه الرؤية حقائق قاهرة في طبيعة البشر، يجب أنْ تتكيّف معها الأخلاق والسياسة -على حدّ سواء- في ترسيخ هذه الفكرة، ورغبات كلّ شخص مشروعة بقدر رغبات الآخر، هذه الفكرة تشكّل الأساس لضرورة القانون في المجتمع المدني، وهي نابعة من مبدأ المساواة في الحقوق بين الأفراد، وإلا فإنّ المجتمع المدني والقانون نفسهما لا أصل لهما، بل هما أمور ثانوية تتّبع ضرورة إشباع رغبات البشر[٣].

فلا وجود للقيم الثابتة وفق هذه الرؤية؛ إذ «لا يوجد قانون للخير والشر متجذّر في طبيعة

١ - ينظر: مجيد ظهيري: مقدمة للمباني المعرفية في الإسلام والليبرالية (باللغة الفارسية)، ص٧.

٢ - زعيم الفكر السوفسطائي في القرن الخامس قبل الميلاد. وتُعتبر أفكار (بروتاغوراس) هي أساس أفكار السوفسطائيين. كان يعتقد أن الإنسان هو مقياس كل شيء، أي أن الخير والشر، الصح والخطأ، كلها يجب أن تُحدد بحسب حاجات الكائن البشري.

٣ - ينظر: محمد شريفاني: دراسة لسير وتطور مفهوم الحرية والاختيار في الغرب والإسلام (باللغة الفارسية)، ص٦٥.

الموضوع نفسه، بل هذه المفاهيم تعود إلى الشخص الذي يستخدمها»[1]، أي إنّ كل ما تريده رغبة «الأنا» وتطلبه هو خير، وكل ما تكرهه رغبة «الأنا» هو شرّ، ولا توجد قيم ثابتة محدّدة في العالم. لذلك ليس من المستغرب أنْ يقول (فيلهلم فون هومبولت- Wilhelm von Humbold): "لا يريد العقل للبشر إلا وضعًا يتمتع فيه كل فرد، في فرديته الكاملة، بحُرّيَّة مطلقة لتنمية ذاته؛ وضعًا تبقى فيه الطبيعة أيضًا كما هي دون تغيير، ولا تتأثر إلا بالأفعال التي يقوم بها الفرد نفسه وفقًا لإرادته الحُرّة، وبما يتناسب مع نطاق احتياجاته وغريزته، وضعًا لا يُقيّد فيه الفرد إلا بحدود صلاحياته وحقوقه"[2].

ومع هذا التأصيل كلّه الذي يعرضه الغرب، وحُرّيَّة التعبير التي ينادي بها؛ حيث تُشير الأدبيات السياسية والقانونية إلى أنّ حُرّيَّة التعبير تعد من الركائز الأساس التي يبني عليها الغرب هويته الديمقراطية، لكنها، في الواقع، تخضع لسلسلة من القيود التي تفرضها الدول والمؤسسات الغربية على نحو مباشر، أو غير مباشر، فالحُرّيَّة التي لطالما جرى التباهي بها، أصبحت مشروطة بمدى توافقها مع السياسات الحكومية، والمصالح الاقتصادية والسياسية السائدة[3].

وأظهرت الممارسة العملية في المجتمعات الغربية تحوّل هذه الحُرّيَّة إلى فوضى إعلامية؛ حيث أفرطت وسائل الإعلام في استغلال هذه الحُرّيَّة لتقديم محتويات مثيرة، تركّز على الجريمة والعنف والجنس، مع اقتحام صارخ للحياة الخاصة للأفراد تحت ذريعة حقّ الجمهور في المعرفة. كما لجأت بعض الوسائل إلى نشر الإشاعات والأكاذيب وكشف الأسرار الحكومية، ما دفع عدد من المفكّرين إلى إعادة النظر في هذه الحُرّيَّة المطلقة. وفي هذا السياق، تشكّلت لجنة حُرّيَّة الصحافة الأمريكية عام ١٩٤٧، التي كشفت عن تناقضات خطيرة في الممارسة الإعلامية.

وأظهرت الدراسات، أنّ التطوّر التكنولوجي في مجال الإعلام، رغم زيادة أهميته للمجتمع،

١ - ينظر: انطوني آربلاستر: بزوغ الليبرالية الغربية وأفولها (باللغة الفارسية)، ص ٢٤٨.
٢ - عبدالله نصري: الحرية في التراب (باللغة الفارسية)، ص٣٣.
٣ - ينظر: ديميتري بريجع: حرية التعبير في الغرب.. الحقيقة المرة وراء قضية بافل دوروف.

لكنّه قلّل من فرص مشاركة الأفراد في التعبير عن آرائهم. كما اتضح أنّ القائمين على الإعلام أساؤوا استخدام سلطتهم، فشوّهوا صورة عدد من الفئات المجتمعية، وفشلوا في تقديم محتوى إعلامي موضوعي يلبّي حاجات المجتمع الحقيقية. وقد حاولت عدد من الجهات معالجة هذه الإشكاليات من خلال الدعوة إلى تبنّي مفهوم المسؤولية الاجتماعية للإعلام، الذي يفرض على الوسائل الإعلامية التزامات تجاه المجتمع، أهمها الصدق والدقة والموضوعية والتوازن في نقل المعلومات، مع ضرورة تجنّب كل ما من شأنه أنْ يؤدي إلى الجريمة أو العنف أو الفوضى الاجتماعية. لكن تطبيق هذه المعايير واجه صعوبات جمّة؛ بسبب هيمنة النزعة الربحية على المؤسسات الإعلامية التي تحوّلت إلى شركات استثمارية ضخمة، تُدار من قبل رجال أعمال يهتمّون بالربح أكثر من اهتمامهم بالمهنية والأخلاق الإعلامية.

كما ظهر تأثير جماعات الضغط والمصالح الخاصة بشكل واضح على المحتوى الإعلامي؛ حيث استطاعت هذه الجماعات توظيف الإعلام لخدمة أجنداتها، مستغلّة في ذلك ضمان الدساتير لحُرّيَّة التعبير، وانسياق المؤسسات الإعلامية وراء الربح على حساب نوعية الرسالة الإعلامية[1].

ثالثًا: مفهوم حُرّيَّة التعبير في ضوء القرآن الكريم

مفهوم حُرّيَّة التعبير من المفاهيم المُهمّة في وقتنا الحاضر، والتي يمكن اعتبارها سلاحًا ذا حدّين، وقد يُمرّر من خلالها كثير من الأجندات والخطط التي يُراد تطبيقها تحت غطاء حُرّيَّة التعبير، التي قد تنجرّ الى حدوث فوضى تعبيرية، أو إساءة، وغيرها من الأمور التي قد يفهمها عموم الناس على أنّها تعبير حُرّ ونزيه. لذلك، سنقوم ببحث أبعاد هذا المفهوم، وتبيين عناصره، وإثبات أصل وجوده في القرآن الكريم.

١ - ينظر: تقى المباركية وفاطمة غريبي: حرية التعبير عن الرأي من منظور الإعلام في المجتمع المسلم والمجتمعات الغربية، ص٤٠٠.

رابعًا: إثبات أصل حُرّيَّة التعبير قرآنيًّا

أشار القرآن الكريم إلى موارد عدّة:

١. السماح للناس بإظهار معتقداتهم، والتعبير عن آرائهم، والسعي الى دعوتهم بالحكمة، وجدالهم بطريقة حسنة، قال تعالى: ﴿**ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ**﴾[النحل: ١٢٥]، فقوله عزّ وجلّ (اُدْعُ إِلىٰ سَبيلِ رَبِّكَ): أي نادهم إلى الإسلام بِالْحِكْمَةِ، بالحُجّة التي تثبت الحقّ وتزيل الشبهة وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ: أي المقالة والخطاب المقنع والقصص النافعة، والدّعوة الأولى للخواص الذين هم طالبون للحقائق، والثانية لعوامّ الأمّة (وَجٰادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)، أي ناظرهم بالقرآن وبأحسن ما عندك من الحجج والبراهين المُزيحة للشبهة والقامعة لأقوالهم التي تصدر عن جحد وعناد، لكن برفق ولين العريكة وخفض الجناح، حتى يستمع الخصم مقالة الداعي. وهذه هي المجادلة الحسنة[1].

٢. السماح لأهل الكتاب بإظهار وجهة نظرهم؛ حيث يأمر القرآن الكريم المسلمين أنْ يطالبوا أهل الكتاب بالأدلّة على معتقداتهم: ﴿**وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ**﴾ [البقرة:١١١]؛ إذ يطالب القرآن الكريم هؤلاء، رغم أنّهم غير مسلمين، بأنْ يدلوا بدلوهم، ويخرجوا ما في جعبتهم من معتقدات وآراء ونظرات، وهو مستعدّ لسماعهم والإصغاء الى ما يقولون، مع الجزم بأنّهم على غير دين الحق. فقد كان غير المسلمين في عهد رسول الله ﷺ يتمتّعون بحُرّيَّة التفكير وفي إبداء وجهات نظرهم وآرائهم دون ضغط أو إكراه، وكانت تلك الآراء تلقى على مسامع رسول الله ﷺ. فعن (عبدالله بن عباس): «إنّ عبدالله بن صوريا، وكعب بن الأشرف، ومالك

١ - محمد السبزواري، الجديد في تفسير القرآن المجيد، ج٤، ص٢٦٦.

بن الصيف، وجماعة من اليهود، ونصارى أهل نجران، خاصموا أهل الإسلام، كلّ فرقة تزعم أنّها أحقّ بدين الله من غيرها، فقالت اليهود: نبيّنا موسى أفضل الأنبياء، وقالت النصارى: نبيّنا عيسى أفضل الأنبياء وكتابنا الإنجيل أفضل الكتب، وكلّ فريق منهما قالوا للمؤمنين: كونوا على ديننا، فأنزل الله تعالى: ﴿**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [البقرة:١٣٥]، وقيل: إنّ ابن صوريا قال لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلاّ ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمّد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فأنزل الله هذه الآية. ولم تقتصر الحُرّيَّة في الرأي على أهل الكتاب، بل شملت حتى المشركين من غيرهم، فحينما قدم وفد بني تميم على رسول الله ﷺ نادوه من وراء الحجرات: «اخرج إلينا يا محمّد»، فخرج إليهم، فقالوا: جئناك لنفاخرك فأذن لشاعرنا وخطيبنا، فقال: «قد أذنت»، فقام عطارد بن حاجب وقال: الحمد لله الذي جعلنا ملوكًا والذي له الفضل علينا، والذي وهب علينا أموالاً عظامًا نفعل بها المعروف، وجعلنا أعزّ أهل المشرق وأكثر عددًا وعدّة، فمن مثلنا في الناس؟ فمَن فاخرنا فليعد مثل ما عددنا، ولو شئنا لأكثرنا من الكلام، ولكنا نستحي من الإكثار، ثمّ جلس. فقال رسول الله ﷺ لثابت بن قيس بن شماس: «قم فأجبه»، فقام، فقال: الحمد لله الذي السماوات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره، ووسع كرسيّه علمه، ولم يكن شيء قط إلاّ من فضله، ثم كان من فضله أنْ جعلنا ملوكًا، واصطفى من خير خلقه رسولاً أكرمهم نسبًا، وأصدقهم حديثًا، وأفضلهم حسبًا. ثم قام الزبرقان بن بدر ينشد، وأجابه حسان بن ثابت، فلما فرغ حسان من قوله، قال الأقرع: إنّ هذا الرجل خطيبه أخطب من خطيبنا، وشاعره أشعر من شاعرنا، وأصواتهم أعلى من أصواتنا، فلما فرغوا، أجازهم رسول الله ﷺ، فأحسن جوائزهم وأسلموا[1].

١ - سعيد كاظم العذاري: سماحة الإسلام وحقوق الأقليات الدينية في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، ص. ص٨١-٨٣.

٣. مشاورة النبي ﷺ للمؤمنين، والسماح لهم بإبداء آرائهم، وسؤالهم عمّا يرون من صالح الأمور: ﴿ وَشَاوِرهُم فِي ٱلأَمرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، أي أمر الحرب و غيره ممّا لم يُوحَ إليك؛ تطييبًا لأنفسهم، وتأسيسًا لسُنَّة المشاورة للأمة. قال علي عليه السلام «من استبد برأيه هلك، ومن شاور الرجال شاركها في عقولها». وعنه ﷺ: «لا مظاهرة أوثق من المشاورة». وعن الصادق عليه السلام قال: «شاور في أمرك الذين يخشون اللّه»[١]. فالمشاورة وطلب الرأي التي أسّس لها القرآن الكريم، غير الأمور التي هي من مختصات النبي ﷺ، وإنْ جاءت في هذه الآية في سياق المشاورة في الحرب، لكن يمكن أنْ تكون عامة لجميع مرافق الحياة ومتعلّقاتها؛ إذ لا خصوصية للحرب[٢]، فالجميع يمكن أنْ يدلي برأيه، ويتكلم ولا محذور من ذلك، ولكن وفق ضوابط وأسس وقوانين، رأيه محترم، ومحل تقدير، ويُستمع إليه. وفي سبب نزول الآية المتقدّمة، ومع وجود رسول الله ﷺ، وهو المعصوم الذي لا يرى إلا الصواب، ومع ذلك، نرى القرآن يطلب منه ﷺ أنْ يشاور المسلمين ويستمع الى آرائهم. وذلك كلّه دليل على التأسيس لهذا المبدأ، الذي إنْ طُبّق في زمنه ﷺ فمن باب أَولى في الأزمان الخالية منه ومن خلفائه.

من مجموع ما تقدّم، نلاحظ، مضافًا إلى شواهد أخرى اقتصرنا على هذا المقدار منها، إباحةَ الشارع المقدس وسماحه للناس بجميع طوائفهم ومعتقداتهم من إظهار آرائهم وتصوراتهم وإبدائها، بما لا يتنافى والأسس والعقائد الحقّة، ولا يتضارب والسلم المجتمعي، وما لا يؤدي الى الفوضى والاضطراب في ربوعه.

رابعًا: موانع تحقق حُرّيَّة التعبير وفق الرؤية القرآنية

هناك مجموعة من الأمور التي تعتبر موانع تحول دون تحقق حُرّيَّة التعبير عن الرأي، وسنقوم ببحثها من وجهة النظر القرآنية:

١ - عبد الله شبر: الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، ج١، ص٣٩١.
٢ - ينظر: ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في كتاب الله لمنزل، ج٢، ص٧٤٩.

١- سلطة الآخر:

لقد أنكر القرآن أيّ شكل من أشكال هيمنة البشر وسيطرة بعضهم على بعض. وبناءً على بعض آيات القرآن، قد جرى تحريم سيطرة الأفراد وهيمنتهم، والتي يُعبّر عنها بـ «كونهم أربابًا». في [الآية ٦٤ من سورة آل عمران]: ﴿**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**﴾.

جرى اعتبار وجود بعض الناس في هذه الآية الكريمة، عائقًا أمام حُرّيَّة الإنسان. وبناءً على هذه الآية، لا يحقّ لأي شخص أنْ يجعل من نفسه ربًّا للآخرين، ويسيطر عليهم، ويحول دون حُرّياتهم. ومن ناحية أخرى، لا يحقّ لأي شخص أنْ يجعل الآخرين أربابًا له ويمنعهم من إبداء آرائهم. ففي هذه الآية، يُعدّ اعتبار الآخرين أربابًا في مصاف الشرك بالله، ما يبيّن الأهميّة البالغة لهذه المسألة. وبناءً على هذا، فإنْ فرض السيطرة على الآخرين يُعتبر شركًا بالله، كما أنّ قبول السيطرة والخضوع لها، يُعدّ في حكم الشرك بالله.

٢- الهوى والميول النفسية:

يتميز القرآن الكريم بذكره الأهواء والميول النفسية، بكونها أحد معوقات حُرّيَّة التعبير المهمة، فلكي تشيع حُرّيَّة التعبير في المجتمع بنحو صحيح، على الإنسان أنْ يكون حُرًّا في أفكاره، وليس أسيراً لميوله وأهوائه، فالإنسان الحُرّ من وجهة نظر القرآن، هو الذي لا يكون أسيراً لأهوائه وشهواته النفسية. يستطيع الإنسان أنْ يعبّر عن رأيه، وبشكل حُرّ، إلا إذا لم تسيطر عليه أهواؤه وشهواته النفسية. يصف القرآن الكريم الكفار بأنّهم منغمسون ومنشغلون بالأهواء والآمال، ويطلب من النبي ﷺ أنْ يتركهم على هذه الحال: ﴿**ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ**﴾ [الحجر: ٣].

٣- عدم مخالفة الحدود الإلهية:

من الموانع المهمة التي يذكرها القرآن الكريم لحُرّيَّة التعبير عن الرأي، هو كون الرأي قد يكون مخالفًا للحدود الإلهية، ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فليس هناك حُرّيَّة تعبير إذا كان الرأي مخالفًا للأحكام الإلهية، والقواعد الربّانية.

٤- السخرية من الآخرين والاستهزاء بهم:

يجد بعض الناس في التنمّر، والسخرية من الآخرين، والتنكيل والاستهزاء بهم من حُرّيَّة التعبير التي لا ينبغي أنْ يؤاخذوا عليها، في حين يقول صريح القرآن الكريم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾ [الحجرات:١١]، فالسخرية، وإنْ كانت ممّن هو أفضل الذي يرى نفسه الأحقّ وغيره لا خير فيه، أمر مرفوض بنحو واضح وصريح.

٥- البدعة في أحكام الدين:

إنّ التقدم الذي تشهده البشرية والتطوّر العلمي الذي يواكبه العالم، يسوّغ لكثير من الناس إدخال الأحكام والنظريات الحديثة ضمن أحكام الدين وثوابته القِيَمية؛ حيث يجدون في ذلك، الحداثةَ وتجديدَ البنية الدينية ومنظومتها، في حين تقول الآية الكريمة: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ**﴾ [النحل:١١٦]، فالنهي واضح وصريح عن التقوّل، والافتراء، وإدخال البدع في أحكام الدين والشريعة.

٦- إفشاء عيوب الناس:

يعتبر بعض الناس إفشاء عيوب الناس، والتصريح بمساوئهم حقًّا متاحًا وأمرًا مباحًا له، والحال أنّ القرآن الكريم يعتبر هذا الأمر ممقوتًا، ولا يتساهل أبدًا في إظهاره والبوح به، بل عدّه ضمن الأمور التي لا يحبها الله تعالى، قال في محكم كتابه: ﴿**لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا**﴾ [النساء: ١٤٨]. لذا، فحُرّيَّة التعبير التي تقود الأفراد إلى السوء من القول، والتعريض بها، هي من الأمور الممنوعة والمُحرّمة في الرؤية القرآنية.

٧- اللغو من الكلام:

قد يعتبر بعض الناس حُرّيَّة التعبير سببًا للإطالة في الكلام، والخوض فيه طولاً وعرضًا، بما قد يكون لا طائل من ورائه، واللغو من الكلام، كلّ ما لم تكن هناك فائدة من ورائه، وقد عدّ القرآن الكريم الإعراض عن اللغو من صفات المؤمنين المُخلصين: ﴿**وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ**﴾ [المؤمنون:٣]، وقال: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**﴾ [القصص: ٥٥]، فلا ينبغي لحُرّيَّة التعبير أنْ تقود الإنسان المؤمن وتوقعه في اللغو من الكلام، الذي لا نفع فيه ولا طائل من ورائه.

٨- تهيئة الأجواء للأعداء:

تستغلّ الجهات الخارجية والأعداء كلامًا معيّنًا أو رأيًا محدّدًا لبثّ الفرقة والنزاعات بين فئات المجتمع، بل وحتى لشنّ الحُرّوب وضرب الاستقرار الداخلي للبلاد، ومن هذه الناحية نجد القرآن الكريم صريحا في عدم التهاون في الانجرار وراء الأقوال، والأخبار، والآراء التي يريدها الأعداء. فمجرّد كلمة قد يُراد لها أنْ تكون لواء يقف وراءه المندسّون، وأصحاب الآراء الباطلة التي تتربّص بالمؤمنين للإيقاع بهم؛ ففي مورد اليهود، نجد القرآن الكريم صريح اللهجة في عدم

التهاون والانجرار وراء ما يروّجون له من كلمات ظاهرها بريء، لكنّها تحمل في طيّاتها المكر والخديعة، وتهدف للإيقاع بالمؤمنين، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا ۗ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [البقرة: ١٠٤].

خامسًا: أهداف حُرّيَّة التعبير

يُلفت الله -تعالى- الانتباه في القرآن إلى هذه المسألة، ويبيّن أنّ هدف الأنبياء عليهم السلام عبر التاريخ كان تثبيت الحُرّيَّة المفقودة للإنسان، من خلال نفي المعوقات التي تحول دون ظهورها وتحقّقها في الفرد والمجتمع: ﴿**وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ**﴾ [الأعراف: ١٥٧]. في الحقيقة، إنّ رفع القيود والأغلال ليس سوى إزالة الهيمنات البشريّة المستبدّة وقيودها؛ لكي يُتاح المجال لظهور حُرّيَّة الإنسان الفطرية. وبالتالي، فإنّ أحد آثار الحاكمية الإلهية ونتائجها على الإنسان هي حُرّيَّته، ونفي سيطرة الآخرين وتسلّطهم عليه.

في العلاقة بين الإنسان والله، ليس هناك أي تناقض أو تعارض بين الحاكمية الإلهية وحُرّيَّة الإنسان المطلقة، بل هناك علاقة تساوٍ، بمعنى أنّ الحاكمية الإلهية مساوية لحُرّيَّة الإنسان؛ لأنّ النظر إلى الخصائص الإنسانية، ومسألة الفقر، والحاجة الذاتية للإنسان إلى الله الخالق والربّ، واستمرار هذه الحاجة ودوامها، يجعل من المستحيل اعتبار الإنسان كائنًا حُرًّا ومنفصلاً عن الله والحاكمية الإلهية. وفي الواقع، فإنّ شعار «لا إله إلا الله» يعبّر عن مثل هذا الفهم؛ أي إثبات حُرّيَّة الإنسان في التعبير، ونفي أي سيادة أو سيطرة للآخرين غير حاكمية الله الواحد.

في الرؤية القرآنية، يكون الفرد حُرًّا عندما يتمكّن من التغلّب على قيود ذاته وأغلاله الداخلية والشهوانية، فيتحرّر من قيد العبودية والاستعباد وسيطرة الآخرين؛ أي أنْ يتمتّع الفرد بحُرّيات فكرية وسلوكية في البعد النفسي، وكذلك في البعد الاجتماعي. عندها فقط يمكن اعتباره كائنًا مختارًا حُرًّا ومسؤولاً بحقّ، والنظر إليه بوصفه خليفة لله. وبذلك يتضح كيف يثبت المفهوم

القرآني الحُرّيَّة في التعبير والإعلام بوصفها أمرًا فطريًّا وجوهريًّا للإنسان، وحقًّا طبيعيًّا له. والشيء الوحيد الذي يمكن تصوّره في سياق التحقّق الخارجي، وظهور هذا الأمر الجوهري هو وجود عامل أو عوامل معوقات تمنع هذا الحقّ الطبيعي من الظهور والبروز. وهدف الأنبياء ﷺ أيضًا هو توفير الأرضية الفردية والاجتماعية، من حيث القوّة والقدرة لجميع أفراد البشر، لكي يتمكّنوا، من خلال عبوديّة الله وإزالة قيود تسلط الآلهة الباطلة الداخلية والطواغيت الخارجية، أنْ يظهروا ويعزّزوا ذلك الحقّ في أنفسهم، ويكشفوا عن الاستعداد الكامن. وعند تحقّق حُرّيَّة الإنسان في التعبير حسب الرؤية القرآنية، فإنّه سيصدح بالدعوة الى الله تعالى، واتباع أحكامه وشرائعه: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف: ١٠٨].

سادسًا: الفرق بين الإعلام وحُرّيَّة التعبير وبين الكذب والافتراء والفوضى التعبيرية

إنّ ما تقدم من حُرّيَّة التعبير التي أرسى دعائمها القرآن الكريم، وبيّن أسسها وحث عليها في آيات ذكرناها، لا شكّ ولا شبهة أنّها تفترق كثيراً عن الكذب والافتراء والإشاعات التي يُدخلها بعض الناس تحت حُرّيَّة التعبير، فقد اتخذ القرآن الكريم موقفًا صارمًا من هذه الأمور كلّها، وأمرنا بالتأكد والتبيّن، فلو لاحظنا قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولا**﴾ [الإسراء: ٣٦]؛ لاتضح لنا عظم الدخول في قضايا وأمور ليست من شأن المؤمن، الذي يعتقد بيوم الحساب، الولوج فيها.

كما يؤكّد علماء النفس -اليوم- حقيقةً نفسيةً مفادها، ولع الإنسان بطبعه بجديد الأخبار وغرائبها، فيصدِّق ما يتلقّاه لأول وهلة، ولا يتريّث حتى يتثبّت ويتأكّد منها، بل ينقلها ويقوم بإشاعتها بين الناس، ويتعامل معها على أنّها حقائق ومسلَّمات لا تقبل الترديد والجدل. وعليه، فمن الواجب شرعًا، والمفروض عقلاً، أنْ نضبط ألسنتنا ونتثبّت، فلا نروِّج لأخبارٍ بمجرّد كونها قد تناهت إلى مسامعنا مهما كانت حتى نتأكّد من صحّتها، وقد أعطى القرآن الكريم مجموعة من

الأساليب للمواجهة من أبرزها ما بيّنه في آية التبيّن ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ [الحجرات:٦]، فهنا القرآن الكريم أعطى وسيلة فعّالة لكل إنسان مؤمن، إذا أراد تجنّب الوقوع في الجهالة، وبالتالي الندامة، وهي التبين فيما يصل إليه من أخبار. فأيّ تأثير لهذه الأخبار على حياة الفرد، بحيث نرى القرآن يحذّر من قبولها مباشرة من دون تبيّن، ويعدّ من يخالف ذلك بالوقوع في الجهالة والندامة، كيف لو قبلها المجتمع وتعامل معها!

ونجد آيات كثيرة قد تعرّضت لموضوع الإشاعة بشكل ضمني، ولكنّنا سنتعرّض لما كانت صريحة بهذا الشأن، كقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَنَ إِلاَّ قَلِيلا**﴾ [النساء:٨٣]؛ حيث تشير هذه الآية إلى وجود حركة منحرفة من حركات ضعاف الإيمان والمنافقين، تتمثّل في سعيهم الدائم إلى تلقّف أيّ نبأ وخبر يخصّ انتصار المسلمين أو هزيمتهم، وبثّه في كل مكان بين الناس، دون أيّ تدقيق أو تحقيق في أصل هذا الخبر والنبأ، والتأكّد من مصدره، وكان كثير من هذه الأنباء ليس إلاّ إشاعة عن عمد من قبل أعداء المسلمين، ولا يريدون ببثّها إلاّ تحقيق أهدافهم الدنيئة، والإساءة إلى معنويات المسلمين والإضرار بها. والحال، الذي كان من واجبهم، إيصال هذه الأخبار إلى قادتهم كي يعرفوا ما يفعلون، ولكي يتجنّبوا دفع المسلمين إلى الإحساس بالانتصارات الخيالية والوهمية، أو ما يؤدّي إلى إضعاف معنوياتهم بإشاعة أنباء عن هزيمة لا حقيقة لها.

سابعًا: الإشاعة في القرآن الكريم

اهتمّ الإسلام بمحاربة كل ما يسمّم أو يلوّث ويشتّت أجواء المجتمع بشدّة، ومن أشدّها فتكًا الإشاعات والأكاذيب التي يطلقها الطرف الآخر سواء أكان هذا الطرف عدوًّا واضحًا أم مخفيين كالمنافقين والذين في قلوبهم مرض، وهؤلاء أشدّ تأثيرًا على الأمة الإسلامية، باعتبارهم سرطان

غير مكتشف؛ إذ يشكّلون بحسب الظاهر جزءًا من جسد هذه الأمة. وتبدأ الإشاعة بأنْ يختلق الأعداء والمنافقون كذبة ما؛ لغرض معيّن، يقومون ببثّها بين أفراد المجتمع بشتّى الطرق خاصّة الإعلام ووسائل التوصل الاجتماعي بصورة منمّقة، معتمدين على بساطة المجتمع وتفاعله مع أحداث لها مساس بالواقع، أو بشخصيات، أو بظواهر، أو كل ما يتعلّق بزرع أوهام معيّنة، أو أفكار خاصّة، يستفيد منها أعداء الإسلام، ولو على المستوى البعيد، تعمل على استنزاف طاقات الأمّة واشغالهم بأمور تافهة، يصوّرونها مُهمّة لا غنى عنها، أو بإلقاء قضايا لا أساس لها إطلاقًا، تعمل على زعزعة أهمّ عنصر، وهو الثقة بين أفراد المجتمع، فضلاً عن خلق حالة من اللا مبالاة، والتردّد في أداء المَهام والمسؤوليات المنوطة بالأفراد[1].

هذا المرض العضال الذي ابتُلِينا به، قد أشار القرآن الكريم لخطورته، وأثره على الفرد والمجتمع، مع أن الإمكانات لنشر الإشاعات والأكاذيب والافتراءات في السابق، لم تكن كما هي اليوم، فقد اقحمت هذه الشائعات النبيّ ﷺ في هذا الأمر من خلال نسبة الإفك لبعض زوجاته، وهذا ما أشارت إليه الآيات من [١١- ٢١] من سورة النور، وكيف وصفت هذه الحادثة وأثرها، قال تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ جَاؤُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [النــور:١١]، التي اختلف الفريقان في نسبة هذا الأمر الجلل الى أيٍ منهما، فقد ذكر أهل السُنّة أنّ المقذوف بالإفك هي (عائشة) زوج النبيّ ﷺ، وأما الشيعة فتروي أنّ المقذوف بالإفك هي (مارية القبطية) زوج النبيّ وأم إبراهيم، التي أهداها (مقوقس) ملك مصر إلى النبي ﷺ، وأيًّا كانت منهما، فهما من زوجات النبي ﷺ وعرضه. لذا، نرى الآية لوّحت إلى هذا الأمر الخطير بقوله تعالى: ﴿**وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيم**﴾ [النور:١٥]. فالمستفاد من آيات سورة النور، أنّ هذه القضية قد بُنيَت على اختلاق أمر عبرّت عنه الآية بالإفك؛ أي الكذب[2]، الذي أشاعه المنافقون بين المسلمين، ورموا زوجات النبيّ ﷺ بالفحشاء، وهو أمر عظيم، وقد لاقت

١ - ينظر: ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله، ج٣، ص٣٥٠.
٢ - ينظر: الراغب الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ج١، ص٧٩.

هذه الإشاعة رواجًا من بعضهم، وعملوا على نشرها، والغرض هو إشاعة الفاحشة بين المؤمنين حتى اقتضى ذلك نزول هذه الآية المباركة[1].

ثامنًا: آثار الإشاعة من وجهة النظر القرآنية

هناك آثار مختلفة للإشاعة من الناحية الفردية والاجتماعية، وهي تمتد لتشمل نواحٍ عدّة في المجتمع، فلا تقتصر على مجال دون آخر:

١. الآثار الاعتقادية: وهي تشمل تأثيرات هدّامة عّدة، منها؛ إضعاف إيمان الأفراد، وبثّ الشبهات في أفكارهم وزلزلة اعتقاداتهم، فنرى في معركة أُحد كيف كان لإشاعة خبر وفاة النبي ﷺ الأثر الواضح على نفوس المسلمين: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّه شَيْئًا**﴾ [آل عمران: ١٤٤]. والأثر الآخر هو إلقاء الشبهات في نفوس الأفراد، يقول -تعالى- في محكم كتابه، مبيّنًا تأثير أهل النفاق وضعاف النفوس في بثّ الشبهات بين أفراده: ﴿**وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا * وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا * وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا**﴾ [الأحزاب: ١٢-١٣].

٢. الآثار الاجتماعية للإشاعة: نجدها تتمثّل في تحوّل محيط المجتمع الى محيط غير آمن اجتماعيًّا؛ حيث تقول في ذلك الآية المباركة: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النور:١٩]، وهي تبيّن أنّ إشاعة الأكاذيب والافتراءات بين الناس من شأنها جعل

١ - ينظر: محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج١٥، ص٤٥.

المجتمع غير آمن، وكذلك تعمل الإشاعات على هتك حُرمة الأفراد والحطّ من قدرهم، كما حصل في قضية الإفك. أما الأثر الاجتماعي الآخر الذي تصنعه جريان الإشاعات في المجتمع فهو الإخلال بالسلم المجتمعي العام؛ حيث تبيّن الآية المباركة هذا الأمر: ﴿**لَئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلا**﴾ [الأحزاب:٦٠]، فهم يسبّبون الإرجاف والإخلال في المدينة.

٣. الآثار السياسية للإشاعة: من قبيل فقدان ثقة الناس بالحكّام والمسؤولين؛ حيث تقول الآية المباركة: ﴿**وَإِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيْهُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطانَ الا قليلا**﴾ [النساء:٨٣]؛ حيث تعتبر الإشاعة سببًا لفقدان الثقة بين الناس واتباع الشيطان، وبذلك تكون الإشاعة سببًا في إيجاد الفرقة والاختلاف بين الناس.

تاسعًا: طرق القرآن في مواجهة الإشاعة وأساليبه:

نجد هذه الطرق والأساليب تنقسم الى مجموعتين: الأولى تتمثّل بطرق وأساليب الوقاية من الإشاعة، والثانية بالمواجهة لها، وسنتعرض لبيان كلٍّ منهما:

١. طرق الوقاية وأساليبها

أ. إرجاع الخبر لأهل الاختصاص: يعتبر القرآن الكريم واحدة من وظائف وخصائص المؤمنين هي إرجاع الخبر، وما يسمعون من أمور لأهل الاختصاص، قال تعالى: ﴿**إِذا جاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَلى أُولِي**

الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الّذينَ يسْتَنْبِطونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلا فَضْلُ اللهِ عَلَيهِمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتّبَعْتُمُ الشّيطانَ إلا قَليلا﴾ [النساء: ٨٣].

ب. التثبّت والتحقّق من الأخبار والأنباء: هناك كثير من الإشاعات التي تنتشر نتيجة التساهل في تقبّل الأحداث، ونشرها دون تحقيق وتدقيق، مع أن كلّ خبر يرتبط بقضايا مختلفة تخصّ الآخرين أو المجتمع، إذا لم يكن يعلم مُخبِره بصحّته، ولا بيّنة له عليه، فهذا محكوم شرعًا بالكذب، سواء أكان بحسب الواقع صدقًا أم كذبًا، والدليل عليه قوله تعالى: **﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُواْ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُوْلَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾** [النور:١٣][1]. فالقاعدة القرآنية، هي الأمر بالتثبّت والتحقّق فيما يردنا، قال تعالى: **﴿يا أَيّهَا الّذينَ آمَنُوا إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيّنُوا أَنْ تُصيبُوا قَوْمًا بِجَهالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمينَ﴾** [الحجرات: ٦]. وإلا فمن يتساهل في تقبّل هذه الأخبار والإشاعات من دون تبيّن، فإنّ مصيره الندامة لا محالة.

ج. الامتناع عن الكلام دون العلم بالحقائق: وإلى هذا تشير الآية الكريمة **﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللّهِ عَظِيمٌ﴾** [النور: ١٥]. "بيّن السياق بصيرة مهمة، أنه لا يجوز أن يردد الإنسان أقوال الآخرين من دون علم، وأنه ليس هذا أمرًا هيّنًا، بل هو عند الله عظيم"[2].

٢. طرق المواجهة

أ. المبادرة الى تكذيب الإشاعة وعدم نقلها، كما في قوله تعالى: **﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُواْ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾** [النور:١٢]؛ إذ

١ - محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، ج١٥، ص٤٥.
٢ - محمد تقي المدرسي: بينات من فقه القرآن، ج١، ص٧٦.

نجد في هذه الآية المباركة توبيخًا للمؤمنين والمؤمنات، مع اتصافهم بهذا الوصف العظيم الذي يحتّم عليهم حسن الظنّ بالآخرين، والمبادرة الى إنكار الإشاعة ونعتها بالكذب، باعتبارهم نفسًا واحدة في التلبّس بالإيمان ولوازمه، وما يترتّب عليه، فما يُشاع على أيّ فرد منهم، فهي إشاعة على باقي الأفراد؛ لأنّها تؤثر على الكيان برمّته[1]. ومع هذا، لم يعمل المؤمنون وقتذاك بتكليفهم بوصفهم مؤمنين؛ من ردّ الإشاعة وتكذيبها، بل سارت بواسطتهم كالنار في الهشيم، وسمحوا لأنفسهم أنْ يكونوا معبراً لها من خلال تداولها مع الآخرين، وهذا نقص في إيمانهم.

ب. التوجّه إلى الله -تعالى- والاطمئنان بأنّه -عزّ وجلّ- هو من ينتصر لمن يتعرّض للأذى بسبب الإشاعة؛ حيث تُطَمْئِن الآيات القرآنية النبيَّ (صلى الله عليه وآله) وتخبره بأنّ ما يتعرّض له من تشهير، وشتيمة، وبثّ للإشاعات المغرضة بحقه، هو عين ما تعرّض له الأنبياء عليهم السلام من قبله: ﴿**كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**﴾ [الذاريات:٥٢]، وهؤلاء مؤمنون، والله يدافع عنهم، وينتصر لحقّهم، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [الحج: ٣٨].

ج. تذكير النفس وتوطينها بأنّ الدخول في عالم إثارة الإشاعات وتصديقها، ما هو إلا مستنقع لا نهاية له، وقد جعل القرآن الكريم اتباع هذه الإشاعات اتباعًا لخطوات الشيطان، الذي يجب على المؤمن أن يبتعد عنها، ويواجهها؛ كي لا يكون من حزب الشيطان الذي يُعدّ المؤسّس لهذا الأمر، لغرض إشاعة الفحشاء بين الناس، فإذا فعل الإنسان ذلك، أو أخذ به، فهو قد سار على خُطى الشيطان الرجيم، وحقّق له ما يريد، وسار خلف اللعين الذي لا يصل بالإنسان إلا إلى الهلاك، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ**﴾ [النور:٢١].

١ - ينظر: محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص٩٢.

د. التهديد بالعذابات الإلهية في الدنيا قبل الآخرة: إنّ العذابات الإلهية تكون في الدنيا والآخرة، بأنْ من يشيع الفاحشة له عذابان دنيوي وأخروي؛ قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**﴾ [النور:١٩]. وقد تطرّقت الروايات إلى هذا الأمر الهدّام عندما جعلت الخطيئة العلنية أقبح من الخطيئة الخفية، فمن يروي على أخيه المؤمن رواية مشينة، يفعل الله به ما يفعل، فكيف إذا روى عنه إشاعة لا أصل لها! لذلك، نجد التحذيرات النبوية شديدة اللهجة في هذا الشأن؛ فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «مَنْ أَذَاعَ فَاحِشَةً كَانَ كَمُبْتَدِئِهَا»[١]. ونقرأ في حديث آخر عن الإمام الكاظم عليه السلام: «جاءه رجل، وقال: نُقِلَ إليّ عن أخٍ في الدين فعلٌ كرهته، فسألته عنه فأنكره، مع أنّ من نقله من الثقات. فقال الإمام: « كَذِّبْ سَمْعَكَ وَبَصَرَكَ عَنْ أَخِيكَ، وَإِنْ شَهِدَ عِنْدَكَ خَمْسُونَ قَسَامَةً، وَقَالَ لَكَ قَوْلاً فَصَدِّقْهُ وَكَذِّبْهُمْ، وَلَا تُذِيعَنَّ عَلَيْهِ شَيْئًا تَشِينُهُ بِهِ وَتَهْدِمُ بِهِ مُرُوءَتَهُ، فَتَكُونُ مِنَ الَّذِينَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ)»[٢].

خاتمة

بعد استقراء النصوص القرآنية ذات الصلة بحُرّيّة التعبير، وتحليلها في ضوء دلالاتها اللغوية والتفسيرية، أمكن الوصول إلى:

أن الإسلام قد أقرّ هذا الحق الإنساني، لكن ضمن إطار متوازن يحقّق مصالح الفرد والجماعة معًا. فالحُرّيّة في المنظور القرآنيّ ليست حُرّيّة مطلقة كما صوّرتها الفلسفات الوضعية الغربية،

١ - محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، ج١٥، ص ٢٥٣.
٢ - علي بن جمعة الحويزي: تفسير نور الثقلين، ج٢، ص٥٨٢.

وليست أيضًا حُرّيَّة مقيّدة بشكل يلغيها، بل هي حُرّيَّة منضبطة تجمع بين الحقّ والمسؤولية، وبين القول والعمل، وبين مصلحة الفرد ومصلحة الأمة.

لقد أبرز البحث أنّ القرآن الكريم جعل الكلمة ذات أثر عظيم في حياة الإنسان، فهي إما أنْ تكون أداة للخير والبناء، أو تتحوّل إلى وسيلة للشرّ والهدم. ومن هنا، جاء التأكيد القرآني على ضرورة ضبط حُرّيَّة التعبير بالصدق، والأمانة، والعدل، واحترام الثوابت الدينية والإنسانية، والحذر من الكذب والبهتان وإشاعة الفاحشة. كما أنّ القرآن فتح المجال واسعًا للحوار والمجادلة بالحسنى، باعتبارهما وسيلتين راقيتين للتعبير عن الرأي وتبادل الأفكار. وهذا يوضّح أنّ حُرّيَّة التعبير في التصوّر القرآني ليست مجرّد مفهوم نظري، بل هي ممارسة واقعية ذات أبعاد خُلُقية واجتماعية واضحة.

ومن خلال ذلك يمكن القول: إنّ القرآن الكريم قدّم رؤية حضارية متكاملة لحُرّيَّة التعبير، رؤية لا تقف عند حدود تمكين الإنسان من حقه في القول، وإنّما تتجاوز ذلك إلى توجيه الكلمة نحو البناء والإصلاح، وحماية المجتمع من الانحراف والفوضى. إنّها حُرّيَّة تحترم كرامة الفرد، لكنّها لا تسمح بتحويلها إلى أداة للاعتداء على الآخرين، أو انتهاك قيم المجتمع. وعليه، فإنّ التصوّر القرآني لحُرّيَّة التعبير يظلّ نموذجًا متوازنًا، يجمع بين متطلّبات الحُرّيَّة وضوابط المسؤولية، ويقدّم أساسًا راسخًا لبناء مجتمع تسوده العدالة والاحترام، ويُسهم في ترسيخ منظومة فكرية وخُلُقية متوازنة، تميّز الأمّة الإسلامية عن غيرها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
- أحمد بن فارس الرازي: معجم مقاييس اللغة، المحقق: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الفكر، لا ط، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- إميل يعقوب وآخرون: المعجم المفصل في الجموع، بيروت: دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠٠٦.
- أنطوني آربلاستر: بزوغ الليبرالية الغربية وأفولها (باللغة الفارسية)، ترجمة: عباس مخبر، قم، نشر مركز، ١٣٦٧ش.
- تقى المباركية وفاطمة غريبي: حُرّيَّة التعبير عن الرأي من منظور العالم في المجتمع المسلم والمجتمعات الغربية، مجلة العلوم القانونية والسياسية، مجلد ١١، عدد ١، ٢٠٢٢.
- حسين يوسف موسى وعبد الفتاح صعيدى: الإفصاح في فقه اللغة، قم، دفتر تبليغات اسلامى حوزه علمية، ط٢، ١٤١٠ه.
- ديميتري بريجع: حُرّيَّة التعبير في الغرب.. الحقيقة المُرة وراء قضية بافل دوروف، https://eurasiaar.org/.
- سعيد كاظم العذاري: سماحة الإسلام وحقوق الأقليات الدينية في مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، قم، مركز الرسالة، لا ط، لا ت.
- سليمان الحيقل: حقوق الإنسان في الإسلام والرد على الشبهات المثارة حولها، الرياض، مكتبة الملك فهد، لا ط، ٢٠٠٣.

- عبدالله شبر: الجوهر الثمين في تفسير الكتاب المبين، الكويت، مكتبة الألفين، لا ط، ١٩٨٦.
- عبداللّه نصري: الحُرّيَّة في التراب (باللغة الفارسية)، قبسات، السنة الثانية، العدد ٥ و٦، خريف وشتاء، ١٣٧٦.
- علي بن جمعة الحويزي: تفسير نور الثقلين، اسماعيليان، قم، لا ط، ١٣٧٣ ه.ش.
- لويس معلوف، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، بيروت، دار المشرق، ط١، ٢٠٠٠.
- مجيد ظهيري، مقدمة للمباني المعرفية في الإسلام والليبرالية (باللغة الفارسية)، أنديشه حوزه، رقم ٢٠، ١٣٧٨ ه.ش.
- محمد السبزواري: الجديد في تفسير القرآن المجيد، بيروت، دار التعارف للمطبوعات، ط٣، ١٤٠٢.
- محمد الكرمي: التفسير لكتاب الله المنير، قم، علميه (چاپخانه)، ط٨، ١٤٠٢.
- محمد بن مكرم (ابن منظور): لسان العرب، بيروت، دار صادر، لا ط، ١٩٩٨.
- محمد بن يعقوب الكليني: أصول الكافي، لا م، دار المرتضى، لا ط، ٢٠٠٥.
- محمد تقي المدرسي: بينات من فقه القرآن (سورة النور)، لا م، مكتبة مدرسة الفقاهة لا ط، لا ت.
- محمد تونجى وآخرون: المعجم المفصل في علوم اللغة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠١.
- محمد حسين الطباطبائي: تفسير الميزان، قم، مؤسسة إسماعيليان، لا ط، ١٤١٢ هـ.
- محمد شريفاني: دراسة لسير وتطور مفهوم الحُرّيَّة والاختيار في الغرب والإسلام (باللغة الفارسية)، فصلنامه انديشه دينى دانشگاه شيراز دوره ١٩، رقم ٣، ١٣٩٨.

- ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، قم، نشر مدرسة الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام، ط١، ١٣٧٩ هـ ش.